



163832 - هل ورد شيء بأن بعض الحيات تفقد البصر وتتسقط الحمل

السؤال

روى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (اقتلوا الحيات ، واقتلو ذا الطفيتين والأبتر ، فإنهما يطمسان البصر ، ويسقطان الحبل) أو كما قال صلى الله عليه وسلم . أرجو شرح هذا الحديث ، فقد سألني أحد أصدقائي وهو غير مسلم ، فقال : كيف يمكن لحيّة أن تطمس البصر ، وأن تسقط الجنين ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

هذا الحديث رواه البخاري (3297) ومسلم (2233) .
 (ذا الطُّفَيْتَيْنِ) : هما الخطان الأبيضان على ظهر الحية .
 (الأبتر) : نوع من الحيات أزرق ، قصير الذَّنَب ، أو لا ذَنَبَ له ، وقال الداودي : هو الأفعى التي تكون قدر شبر أو أكثر قليلا .
 (يطمسان البصر) : تمحو نور العين وإبصارها .
 (الحَبَلُ) : الجنين .

انظر شرح الحديث للنووي في " شرح مسلم " (14/230) ، والحافظ ابن حجر في " فتح الباري " (6/348) .
 ثانياً :

من روایات الحديث
 قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :
 " في روایة ابن أبي مليكة عن ابن عمر : (ويذهب البصر) ، وفي حديث عائشة : (فإنه يتلمس البصر) ، وفي روایة ابن أبي مليكة عن ابن عمر : (فإنه يسقط الولد) ، وفي حديث عائشة : (ويصيب الحبل) ، وفي روایة أخرى عنها : (ويذهب الحبل) ، وكلها بمعنى - أي بمعنى واحد - " انتهى من " فتح الباري " (6/348) .
 ثالثاً :

سبب طمس البصر وإسقاط الحبل

اختلاف شرائح الحديث في سبب فقد البصر وإسقاط الجنين عند رؤية هذا النوع من الحيات :
 القول الأول : أنها تؤذى بالنظر المجرد إليها ، لخاصية جعلها الله في نظر هذه الحيات ، تُفقد الإنسان بصره وتُسقط الحمل ، من غير لسع ولا لدغ ، كأذى العائن يؤذى من يصيبه بعينه مباشرة .



قال القاضي عياض عن هذا القول : إنه أظهر . "إكمال المعلم" (7/168 ، 169) .
وكذا قال القرطبي في "المفہم" (5/533) ، والنووي في "شرح مسلم" (14/230) والمناوي في "فيض القدیر" (2/59) .
وروى النضر بن شمیل عن أبي خیرة أنه قال : "الأبتر من الحیات أزرق مقطوع الذنب ، لا تنظر إليه حامل إلا ألقـت ما في
بطـنها" انتهى من "كشف المشـکل من حـدیث الصـحیحـین" لـابن الجـوزـی (صـ379) .
وقال ابن القیم رحـمـهـ اللـهـ :

"النفس الخبيثة الحاسدة تتكـیـف بـکـیـفـیـة خـبـیـثـة ، وـتـقـاـبـلـ المـحـسـودـ فـتـؤـثـرـ فـیـهـ بـتـلـکـ الـخـاصـیـةـ ، وـأـشـبـهـ الـأـشـیـاءـ بـهـذـاـ الـأـفـعـیـ ، فـإـنـ
الـسـمـ کـامـنـ فـیـهـ بـالـقـوـةـ ، فـإـنـاـ قـاـبـلـتـ عـدـوـهـ أـنـبـعـثـ مـنـهـ قـوـةـ غـضـبـیـةـ ، وـتـكـیـفـ بـکـیـفـیـة خـبـیـثـة مـؤـذـیـةـ ، فـمـنـهـ ماـ تـشـتـدـ کـیـفـیـتـهـ
وـتـقـوـیـ حـتـیـ تـؤـثـرـ فـیـ إـسـقـاطـ الـجـنـینـ ، وـمـنـهـ : ماـ تـؤـثـرـ فـیـ طـمـسـ الـبـصـرـ کـمـاـ قـالـ النـبـیـ صـلـیـ اللـهـ عـلـیـهـ وـسـلـمـ ، وـمـنـهـ : ماـ تـؤـثـرـ
فـیـ إـلـنـسـانـ کـیـفـیـتـهـ بـمـجـدـ الرـؤـیـةـ مـنـ غـیرـ اـتـصـالـ بـهـ ، لـشـدـةـ خـبـثـ تـلـکـ الـنـفـسـ وـکـیـفـیـتـهـ الـخـبـیـثـةـ الـمـؤـثـرـةـ ، وـالـتـأـثـیرـ غـیرـ مـوـقـوـفـ
عـلـیـ الـاـتـصـالـاتـ الـجـسـمـیـةـ کـمـاـ يـظـنـهـ مـنـ قـلـ عـلـمـهـ وـمـعـرـفـتـهـ بـالـطـبـیـعـةـ وـالـشـرـیـعـةـ ، بـلـ التـأـثـیرـ يـکـونـ تـارـةـ بـالـاـتـصـالـ ، وـتـارـةـ بـالـمـقـاـبـلـةـ ،
وـتـارـةـ بـالـرـؤـیـةـ ، وـتـارـةـ بـتـوجـهـ الـرـوـحـ نـحـوـ مـنـ يـؤـثـرـ فـیـهـ ، وـتـارـةـ بـالـأـدـعـیـةـ ، وـالـرـقـیـ ، وـالـتـعـوـذـاتـ ، وـتـارـةـ بـالـلـوـھـ وـالـتـخـیـلـ" انتهى من "
زاد المعاد" (4/153) ، وـنـحـوـهـ "بـدـائـعـ الـفـوـائـدـ" (2/229) ، وـفـیـ "فتح الـبـارـیـ" (10/200) .

القول الثاني : أن سبب فقد البصر وسقوط الحمل هو اللدغ واللسع ، والسم المصاحب لذلك النهش الذي يؤذى كل من
يصيبه .

قال الإمام الزهري - بعد روايته الحديث عن سالم عن ابن عمر - : "نـرـىـ ذـلـكـ مـنـ سـمـیـهـمـاـ" انتهى من " صحيح مسلم" (2233)

وقال الإمام الخطابي رحـمـهـ اللـهـ :

"معنـیـ قولـهـ : (يلـتـمسـانـ الـبـصـرـ) قـیـلـ فـیـهـ وجـهـانـ :
أـحـدـهـماـ : أـنـهـماـ يـخـطـفـانـ الـبـصـرـ وـيـطـمـسـانـهـ وـذـلـكـ لـخـاصـیـةـ فـیـ طـبـاعـهـماـ ، إـذـاـ وـقـعـ بـصـرـهـماـ عـلـیـ بـصـرـ إـلـنـسـانـ .
وـقـیـلـ : معـنـاهـ أـنـهـماـ يـقـصـداـنـ الـبـصـرـ بـالـلـسـعـ وـالـنـهـشـ" انتهى من " معـالـمـ السـنـنـ" (4/157) ثم رـجـحـ الخطـابـیـ القـوـلـ الأولـ .

القول الثالث : أن إسـقـاطـ الـحـمـلـ سـبـبـ الرـعـبـ الـذـيـ يـصـبـ الـرـوـءـ إـذـاـ رـأـتـ ذـلـكـ النـوـعـ الـمـخـیـفـ مـنـ الـحـیـاتـ .
ذكر هذا القول القاضي عياض ، ولكنه رـجـحـ القـوـلـ الأولـ ، فـقـالـ :

"وـذـلـكـ بـالـرـوـءـ مـنـهـ ، أـوـ بـخـاـصـتـهـ کـمـاـ تـقـدـمـ ، وـهـوـ أـظـهـرـ ، إـذـ يـشـرـکـهـ غـیرـهـ فـیـ الرـوـءـ" انتهى من " إـکـمـالـ الـمـعـلـمـ" (168-7/169)
وـذـکـرـهـ النـوـوـيـ رـحـمـهـ اللـهـ "شـرـحـ مـسـلـمـ" (14/230) ، وـصـاحـبـ "عـوـنـ الـمـعـبـودـ" (14/111) ، وـغـیرـهـ مـنـ الشـرـاحـ ، بـلـ ظـاهـرـ کـلامـ
الـإـلـمـ الـنـوـوـيـ تـرـجـیـحـ هـذـاـ التـفـسـیرـ لـسـقـوـطـ الـحـبـلـ ، أـمـاـ إـذـهـابـ الـبـصـرـ فـرـجـحـ القـوـلـ الأولـ .

ولـكـنـ ردـ بـعـضـ الـعـلـمـاءـ هـذـاـ القـوـلـ فـقـالـواـ :

"لا يـلـتـفـتـ إـلـىـ قـوـلـ مـنـ قـالـ : إـنـ ذـلـكـ بـالـتـرـوـیـعـ ؛ لأنـ ذـلـكـ التـرـوـیـعـ لـیـسـ خـاـصـاـ بـهـذـینـ النـوـعـینـ ، بلـ یـعـمـ جـمـیـعـ الـحـیـاتـ ، فـتـذـهـبـ
خـصـوـصـیـةـ هـذـاـ النـوـعـ بـهـذـاـ الـاعـتـنـاءـ الـعـظـیـمـ ، وـالـتـحـذـیرـ الشـدـیدـ ، ثـمـ إـنـ صـحـ هـذـاـ فـیـ طـرـحـ الـحـبـلـ ، فـلـاـ يـصـحـ فـیـ ذـهـابـ الـبـصـرـ ،



فإنَّ الرُّوعَ لَا يَذْهَبُ "انتهى من كلام أبي العباس القرطبي في "المفهُومُ لِمَا أَشْكَلَ مِنْ تَلْخِيصٍ صَحِيحٍ مُسْلِمٍ" (533/534).

فتَبَيَّنَ بِمَا سَبَقَ أَنَّ الْعُلَمَاءَ اخْتَلَفُوا فِي تَفْسِيرِ الْحَدِيثِ ، إِذْ يَحْتَمِلُ أَنْ سَبَبَ أَذِيَّةَ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْحَيَاةِ هُوَ الْلَّسْعُ وَالنَّهْشُ الَّذِي يَرَافِقُهُ سَمٌ شَدِيدٌ يُؤثِّرُ فِي الْبَصَرِ وَفِي الْحَمْلِ ، كَمَا يَحْتَمِلُ أَنْ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْحَيَاةِ يُلْحِقُ الْأَذِيَّةَ بِالْبَصَرِ وَبِالْجَنِينِ عَنْ بُعْدِ بِمَجْرِدِ النَّظَرِ إِلَيْهِ ، وَذَلِكَ لَيْسَ بِبَعِيدٍ وَلَا يُسْتَحْيِلُ ، كَمَا يَقُولُ ذَلِكُمْ مِنَ الْعَائِنِ .

كَمَا يَحْتَمِلُ أَنْ سَبَبَ إِسْقَاطِ الْحَمْلِ هُوَ الرُّوعُ الَّذِي يَصِيبُ الْمَرْأَةَ الْحَامِلَ بِسَبَبِ مَنْظَرِ الْحَيَاةِ الْمُخِيفِ .
فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا هُوَ الصَّوَابُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَحْوَالُ الْمَخْلُوقَاتِ لَا يُحِيطُ بِهَا إِلَّا خَالِقُهَا ، وَالْعِلْمُ يَكْتُشِفُ كُلَّ يَوْمٍ شَيْئًا جَدِيدًا مِنْ أُمُورِ
الْكَوْنِ وَأَحْوَالِ الْخَلْقِ .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ .